خطبة الجمعة بعد التعديل

٦ من جمادى الأولى ١٤٣٥هـ - ٧ من مارس ٢٠١٤م

فضلُ الشهادةِ وكرامةُ الشهيد

العناصر:

١- فضل الشهادة ومنزلة الشهداء.

٢- كرامة الشهيد عند الله.

٣- شفاعة الشهيد لأهله يوم القيامة .

٤- من هو الشهيد ؟

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهٌ واحدٌ بَرٌ كريم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُ الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،،

فيا أيها المسلمون:

إن بلوغَ الأهداف الكبرى ونَيلَ الغاياتِ العظمى في هذه الحياة يستلزم تضحياتٍ جِساماً مكافِئةً لها، ولا ريب أن سُمُوَّ الأهدافِ وشرفَ المقاصد ونُبلَ الغايات يقتضي سُمُوَّ التضحيات وشرَفها ورقيَّ منازلها، ويأتي في الذروة منها التضحيةُ بالنفس, وبذلُ الروح - التى هى أعز ما يُملَكُ - رخيصةً في سبيل الله نصرةً لدينه، ورغبة فى عزة البلاد وكرامة العباد .

ولا مِراء فى أنَّ الشهيد أرفعُ الناس درجةً بعد الأنبياء والصديقين؛ فالشهادة اصطفاءٌ من الله واجتباء، وهى مِنحةٌ يمنحها الله لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين، واقرءوا فى ذلك قول الله تعالى: (...وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء) [سورة آل عمران:١٤٠]، وقول الله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [سورة النساء: ٦٩]، وكيف لا، وقد استعلى الشهيد على شهواته ، وانتصر على رغباته، واسترخص الحياة في نَيل شرف الشهادة في سبيل الله؟!.

ونحن إذ نُحْيِى يومَ الشهيد إنما نعنى شهيد الدارين الدنيا والآخرة . ونُذكِّر أنفسنا والجميع بهؤلاء الذين ارتَقَوا بأرواحِهم إلى الله عزوجل وفازُوا برضوانه، ونستنهض هِمَمَاً تثاقلت إلى الأرض ورضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [سورة التوبة : ٣٨] ونَغبِط أقواما على ما أكرمهم الله به من نَعيمٍ أيقنوا بصدق وعد الله لهم به فنالوه ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) [سورة البقرة : ١٥٤]، ونُرجِّى أنفسنا بشهادة في سبيله ، وبجزاءٍ كريم أكرمهم الله به، ولمَ لا، وقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم): "من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".

أيها المسلمون:

إن الخوف من ألم القتل، وحبَّ الحياة، والخشيةَ من الموت هى أكثرُ ما يُقعد الناسَ عن خَوض غمار المعارك فداءً للدين وللوطن، ومن أجل ذلك أكرم الله الشهيد بأعظم الكرامات ومنها:

أولاً: أن صفقته مع الله مضمونةُ الربح بمجرد الوفاءِ منه ببذلِ النفس، والوعد الحق من الله (عز وجل) جزاء ذلك هو الجنة ؛ يقول سبحانه (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ...) [سورة التوبة: ١١١] إذاً، الله المشتري، والثمن الجنة؛ لا، بل إنها جنان فى الجنة؛ فقد رُوى أن أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهمٌ غَرْبٌ (أى لا يُعرف له رامٍ) فإن كان في الجنة صبرتُ وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء فقال (صلى الله عليه وسلم) : "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى" (رواه البخاري) .

ثانياً: ما أخبر الله سبحانه وتعالى به من أن الشهداءَ أحياءٌ وليسوا أمواتاً يقول تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [سورة آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠]، نعم إنهم أحياء وليسوا أمواتًا، ومن ثَمَّ فهم فرِحُون بما أعطاهم الله (عز وجل) ؛ حيث جنَّة الخلد التي فيها ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطَر على قلب بشَر، ويستَبشِرون بإخوانهم القادِمين عليهم؛ وذلك لحبِّهم إنزالَهم هذه المنزلة التي أنزَلَهم الله إياها، فلا حُزن ولا غم ولا هم، بل استِبشارٌ وفضلٌ ونعيم؛ والله إنها لَلْحياة بحق، وإنه لَلْرزق بحق.

ثالثاً: تخفيف الله للألم الذى يجده الشهيد عند القتل إلى الحد الذى قال عنه (صلى الله عليه وسلم): "ما يجد الشهيد من مَسِّ القتل إلا كما يجدُ أحدكم من مَسِّ القَرْصة"، فلِمَ الخوفُ إذاً؟!.

رابعاً: ضمان الله للشهيد إحدى الحسنيين: النصر والغنيمة، أو الشهادة والجنة؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي أن أُرجعَه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة"؛ إنهم أصحاب الأجرِ الوفير، والنورِ التام المنير يقول تعالى: (وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) [سورة الحديد: ١٩].

خامساً: تميُّزهم يوم يقوم الناس لرب العالمين بهيئة خاصة، وبريح طيبة تنبعث من أجسادهم تتطاول لها الأعناق، وتنحنى لها الهامات إجلالا واحتراما؛ يقول(صلى الله عليه وسلم): والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ (أى لا يُجرح) أحدٌ في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكْلم في سبيله إلا جاء يومَ القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك" هنيئاً لهم.

سادساً: النجاة من فتنة القبر (أى من سؤال الملكين)؛ فقد رُوى أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة".

سابعاً: يشرِّف اللهُ الشهداءَ يوم الحساب بأن يكونوا أولَ من يُقضى بينهم مع النبيين؛ يقول تعالى: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [سورة الزمر:٦٩].

ثامناً: إكرام الله للشهيد بمِنَحٍ عظيمة ، وبشفاعة مخصوصة له فى أهل بيته؛ يقول (صلى الله عليه وسلم) مبشراً الشهيد: "للشهيد عند الله ستُّ خصال يغفر له في أول دُفعة (أى فى أول دَفقة دمٍ) ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشفَّع في سبعين من أقاربه".

أيها المسلمون:

لأجل هذه الكرامة الربانية للشهداء، ولعِظَمِ ما أعد الله لهم من الجزاء رأينا ما يلى:

– رأينا النبى (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن لا يتخلف عن سرية تغزو فى سبيل الله، وما منعه من الخروج فى كل سرية إلا خشية أن يشق على أصحابه، وكان (صلى الله عليه وسلم) يتمنى أن يُقتل شهيدا فى سبيل الله مرات متعددة؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): (والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسُهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثم أُقتل).

– رأينا الشهيد وحْده من أهل الجنة هو مَن يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لينال شرف وكرامة القتل فى سبيل الله عدة مرات؛ يقول (صلى الله عليه وسلم): " ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غيرُ الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيُقتلَ عشر مرات لما يرى من الكرامة".

ولكن من هو الشهيد؟

لقد بيَّن النبى الكريم أن الشهيد هو:

١– من اعتنق الحق، وأخلص له، وضحى في سبيله، وبذل دمه ليرويَ شجرة الحق به، وفى شأنه قال (صلى الله عليه وسلم) : "من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله ".

٢– الذي يأبى الدَّنِيَّة، ويرفضُ المذلة والهوان، ويقاوم من يحاول أن يستوليَ على ماله أو متاعه، وقد جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يا رسول الله أرأيتَ إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت إن قاتلني قال قاتلْه قال أرأيت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلتُه قال هو في النار".

٣– الذى يذود عن أرضه وعِرضه ووطنه: فليس الوطن والعِرض أقلَّ خطرا ومكانة عند المسلم من نفسه ودينه وماله ومتاعه، وقد قال (صلى الله عليه وسلم): "من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ".

الخطبة الثانية

أيها المسلمون:

نؤكد أنه ما طمِع فينا طامعٌ، ولا تجرَّأ علينا متجرئ، ولا تطاول علينا متطاول إلا لأننا ثشبثنا بالدنيا الفانية، وأخلدنا إلى الهوى الذى يُعمى ويُصم، وتقاتلنا على الحطام الفاني، وتنافسنا فيما لا وزن له عند الله، وآثرنا الفانية على الباقية، وقد حذرنا نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم) من ذلكم حين قال: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟! قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهْن

فقال قائل يا رسول الله وما الوهْن قال حب الدنيا وكراهية الموت"، فلنكن أوفياء لدماء من سبقنا على درب الشهادة ، ولنضع نصب أعيننا دائما قول الحق سبحانه: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [سورة التوبة:٥١].

كما نؤكد أن قتل الأبرياء غدراً وخيانة حتى لو كانوا مخالفين في الدين أو العقيدة أمر لا يقره دين ولا عقل سليم ولا إنسانية سوية ، وأن الإسلام يرفض كل مظاهر الفساد والإفساد والتخريب والتدمير ، ونؤكد أن العمليات الانتحارية والتفجيرية محض إفساد لا علاقة له بالشهادة في سبيل الله من قريب أو بعيد ، وأن المفجر لنفسه منتحر يعجل بنفسه إلى نار جهنم ، وأن مصر هي الدرع الحصين للعروبة ، والقلب النابض للإسلام ، وأن الذود عن حماها واجب شرعي ووطني ، وأن محاولة النيل منها هي محاولة لضرب الأمة الإسلامية كلها في قلبها النابض لصالح عدوها الصهيوني وكل من يعنيه إضعاف أمتنا للاستيلاء على خيراتها ومقدراتها ، فلنقف صفا واحدا في سبيل الذود عن ديننا ووطننا ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ووفاء لحق هذا الوطن الذي منحنا الكثير، وقد آن أوان رد الجميل .

نسأل الله (عز وجل) أن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء ومكروه ، وأن يرد كيد أعدائها في نحورهم ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .